على أن الإنتاج العلمي الجامعي كما هو وليد القدرة على الإنتاج وكثرة الاطلاع وهضم المقروء وليد الزمن أيضاً . وبذا يفترق عن الإنتاج الصحفي أو الإنتاج المدرسي . ونحن نطمئنك أيها الصديق برغم عدم هذه التهيئة الكافية في بيئة الأزهر العلمية لقبول الأبحاث الجامعية ، وبرغم هذه الصعاب التي نلقاها في التوجيه ، على أن « بيئتنا العلمية » في نمو ، وعلى أن لنا في جمهرة الطلاب وفي كثير من الشبان المدرسين أعواناً مخلصين، وعلى « أن لنا أسلوباً خاصاً ونقصد في دراستنا وفي إنتاجنا وفي توجيهنا التعليمي مقصداً خاصاً يقوم على حرية البحث ، وقداسة الفكر ، والشجاعة في مواجهة ما نلقى من عنت » ... ونطمئنك أكثر من هذا على أننا قطعنا في إنتاجنا الجامعي خطوات عديدة . وكل ما نرجوه ، حتى يبرز هذا الإنتاج إلى الوجود ، هو توفيق الله .

محمد البهي
مدرس علم النفس والفلسفة
بكلية أصول الدين

من ذكريات أوروبا

باريس الصغيرة

للأستاذ أحمد فتحي مرسي

لم يكن من بد أن نكتب عن باريس الصغيرة بعد أن لحق بشقيقتها الكبرى ما لحق من نكد الحياة ، وعنت الزمان ، ما جعلها تشيع زمان اللهو والغفلة ، وتستقبل زمان الجد والحذر والحرص ، وبعد أن نالها هي الأخرى أو كاد أن ينالها ما نال أختاً لها من قبل فتكالبت عليها أزمات السياسة ، وضائقات الحرب ، ونكبات الطبيعة ؛ وآن لهذه الوجوه التي لم تتقبّض أسرّتها إلا من الضحك أن تتقبّض يوماً من الجد والحزن والتفكير ... وإذا كانت باريس قد لقيت من أقلام المحبين والمعجبين والمحتفين بها الكثير من كلمات الرثاء والعزاء والذكر ، فلا أقل من أن نشيّع الشقيقة الصغرى بكلمة أو كلمتين

وباريس الصغيرة ، أو باريس شرق أوربا كما اصطلح على تسميتها عارفو الباريسيين هي مدينة بوخارست حاضرة رومانيا ، وليس في هذا الاسم إغراق أو مغالاة ، فبين المدينتين تشابه كثير ، فأحياء بوخارست الجديدة تشبه أحياء باريس ، وحياة اللهو والمجون في بوخارست تعدل حياة اللهو والمجون في باريس أو هي تزيد عليه ، ونساء بوخارست متحرّرات عابثات كنساء باريس مولعات بتقليد الباريسيات في التأنق والتجمل إلى حد بعيد ، وإن كن أجمل منهن وآنق . وكما أن باريس هي مدينة المرح والحياة ومحط آمال الشباب في غرب أوربا ، فبوخارست هي مدينة المرح والحياة ومحط آمال الشباب في شرقها . وإذا كان شباب أوربا يستقبل الموت اليوم في محور « روما برلين » فقد استقبل الحياة من قبل في محور باريس بوخارست ... حتى نهاية المدينتين — يشاء القدر أن تكون متشابهة — فكما تعتز المرأة الجميلة بشبابها وجمالها وتحرص على صيانته ، وتحذر أن يمسه سوء ، كان ما فعلت الباريسان ، فسلمتا طائعتين مختارتين حذر أن يمس جمالها من الحرب سوء ، أو يناله في الدفاع أذى .

* * *

هبطت مدينة بوخارست من عام وبعض عام ، وكنت قبل سفري تتناثر حولي عن عبثها ومجونها أقوال أصدقاء لي زاروها من قبل ، فلم أكن ألقي إليهم أذناً صاغية، وأحسب أن بكلامهم الكثير من مبالغات الشباب وخياله ؛ ثم حدثتني عنها أديبة بولندية قابلتها في أثينا ، فكنت أيضاً كثير الشك في كلامها ، وكان يعزز هذا الشك في رأيي أن بوخارست — وإن كانت مدينة أوربية — إلا أنها أقرب إلى الشرق منها إلى الغرب ، فليس ثمة ما يجعلها تختلف عن نظيراتها من مدن شرق أوربا كاستنبول وأثينا وصوفيا . فلما ركبت القطار من ميناء كونستنزا — وهي مرفأ روماني — في طريقي إلى بوخارست ، حدث ما جعلني أصدق ثم أصدق ما قيل ، بل حدث ما جعلني أرى أن فيما سمعته عن هذه البلاد الكثير من القصد والإيجاز ، لا المبالغة والإغراق

كان القطار مزدحماً فوقفت في الممشى أتلهى بالنظر من النافذة ، ثم أخذت أذني في أقصى الممشى ضجة ، فتلفت فإذا شاب بدا لي من وجهه أنه تركي — مقبل عليّ وقد تحلقت به خمس فتيات — أستغفر الله — بل خمس فاتنات ، إي والله خمس — وهو يسير بينهن في هيئة العروس أحاطت بها وصيفات الشرف ، يجذب هذه ، ويقبّل تلك ، ويعانق الثالثة ، وهن يتضاحكن من حوله ، ويتجاذبنه من سترته ! فلما بلغني هذا

الموكب المرح، حيّاني الشاب ضاحكا، وجعلت الفتيات يحدقن في وجهي طويلاً ثم قالت إحداهن :

— هذا تركي آخر

فقالت أخرى :

— بل هو مصري

وقالت ثالثة ضاحكة :

— أما تجيب أيها التمثال ؟

ثم تضاحكن وانصرفن عني ضاحكات

بمثل هذا العبث والمرح تقابلك الفتاة الرومانية، فهي دائماً باسمة مرحة، تنازلك إذا لم تنازلها، وترميك بالجمود إذا لم تسايرها في مرحها. وحسبك أن تعلم أن أول ما يتعلّمه الأجنبي في بوخارست من اللغة الرومانية — وهي لغة تشبه الإيطالية إلى حد — هي كلمات : « جميلة . إلى أين يا فتاة . ما هذا الجمال النادر » وما شاكل ذلك من كلمات المعابثة والمنازلة . وكثيراً ما كنت أخطئ في نطق هذه الكلمات فكانت تصحح لي النطق بها من أعابثها من الفتيات فتقول لي مثلاً : « فورموازا (أي جميلة) وليس فورموزا . انطقها هكذا فورموازا بحرف « S » إنك لا تحسن النطق . اصحبني لأعلمك »

فإذا بدا لك أن تكون رجل جدّ واتزان ، أخذن يثرنك وينازلنك ، ويتشبثن بأذيالك أينما رحت ، بل يحكمن بك في الطريق ، فإذا ألطفت بإحداهن ودعوتها إلى نزهة أو طعام لبتك طائعة دون روية أو تريث أو تفكير ، وسايرتك في كل ما ترغب ؛ فهي سهلة القياد لا تعرف المعارضة !

وفتاة بوخارست اجتماعية بكل ما تحتمل الكلمة من معنى . فلما تراها تسير وحيدة ، فإذا لم تجد من تزامله زاملت من تصادفه في الطريق . وهي في ذلك تتخير أتفه الأسباب للتعرف ، ثم تضع يدها في يدك ، وتطرح التكلف واللاينة جانباً ، وكأنها تعرفك من سنين . . . حدث مرة أن كنتُ جالساً في مقهى في شارع الليبيتا ، فدنت مني فتاة جميلة ، ثم سألتني إن كنت مصرياً ، فلما أجبتها بالإيجاب أخرجت ورقة وقلماً وسألتني أن أكتب لها اسمها باللغة الهيروغليفية . فقلت لها : « إنها لغة قدماء المصريين وقد اندثرت ، ولغتنا الآن هي العربية » فقالت : « إذن فلتكتب اسمي بالعربية » فكتبته لها ، ولكنها بدل أن تنصرف جعلت تتعجب من الخط ، فلم أجد بدا من دعوتها للجلوس فأسرعت بالقبول ولم تقم حتى دعوتها للعشاء في اليوم التالي . . . ومثل ذلك يحدث للمرء مرات عدة في بوخارست

ومن الفتيات من لا تنتحي هذه المقدمات ، فتراها تقابلك وتبدؤك بالسلام ، والسؤال عنك وأين أنت يا أخي ، أو هي تجذبك بيدها ، أو تخطف قبعتك ، أو تقبلك ، أو تعانقك . كل ذلك دون أن يكون لك بها سابق عهد ! والعجيب في هذا أنها تفعل كل ذلك في بساطة ودون استحياء . وأعجب منه أن هذا العمل لا يلفت أنظار المارة ، على الرغم مما لاحظته من فضول الرومانيين العجيب . . . فقلما تخرج من جيبك صورة أو خطاباً في الطريق دون أن يشاركك في النظر إليها أو قراءته كل من حولك ، ومن ليسوا حولك . بل أكثر من ذلك فإنهم يبدون لك ملاحظاتهم ، فيقول أحدهم مثلاً : « لو وسّدت رأسك كفك في الصورة لكان أفضل » أو : « لو كانت الصورة على مسافة أبعد لكانت أوضح من ذلك » أو : « هذا الخطاب مكتوب بخط عجيب » . . . إلى غير ذلك من الملاحظات التي لا تنتهي إلا بإخفاء ما في يدك عن نواظرهم.

وعلى الرغم من هذا الفضول العجيب فقلما يلتفت إليك مارّ وأنت تعانق فتاة أو تنازلها ولو كنت في جمع حافل من الناس لكثرة ما أخذت عيونهم مثل هذا المنظر . وقد حدث لي في أول ليالي ببوخارست أن كنت أتناول العشاء في مطعم مع صديق مصري وصديقة رومانية ؛ وكانت معي بعض صور للأهرام الجيزة فرغبت الفتاة في واحدة منها ، فقال صديقي معابثاً : « وكم تدفعين ثمناً لهذه الصورة ؟ » فقالت : « ما يطلب » فقال ضاحكا : « إنه يقنع بقبلة أو قبلتين ، وإن كانت الصورة ثمينة جداً » فقالت : « إذن فليفعل » فقال : « ليس أمام كل هؤلاء الناس » فقالت : « وما شأنهم في ذلك ؟ » . ثم قامت فقبلته وقبلتني ، فأخذني الخجل ، وجعلت لا ألتفت حولي خشية أن تأخذني الأنظار من كل جانب فتزيد في خجلي ، ولكن لشد ما كانت دهشتي حين التفتُّ فلم أجد أحداً أعار ما حدث أي اهتمام ، بل وجدت كل من حولي يفعل ما نفعل !

ومثل هذه الحال من الجون والاستهتار كان لها أثر بالغ في حياة أطفالهم ، وسفار الفتيات ، فكثيراً ما كنّ يترامين علينا في أوقات متأخرة من الليل

والظاهر أن هذا الانحلال الأخلاقي في رومانيا ، مرجعه الحروب المتلاحقة التي تقلّبت عليها فأفنت رجالها ، ثم خلفتها وعدد نسائها أكبر من عدد الرجال، وهؤلاء الرجال - على قلتهم - منصرفون عن النساء لكثرة عددهن ، وسهولة منالهن ، لذلك ترى رجال رومانيا وشبانها مدالين متراخين قليلي الغيرة على جانب غير قليل من الطراوة والضعف والتهاون مع نسائهم : فالفتاة في بوخارست . قد تسهر معك إلى الثانية عشرة ، أو الواحدة صباحاً ، ويستأذن أخوها أو قريبها لينصرف، وهو يقول لكما مبتسما : أرجو لكما وقتاً طيباً ، أو سهرة موفقة ، أو شيئاً من ذلك . ثم ينصرف لشأنه

وفتاة بوخارست فوق ذلك من أجمل نساء العالم وجهاً وجسما ومن أكثرهن تحرراً ، فهي تساير زوارها وأهواءها إلى أبعد الحدود ، لا تخشى في ذلك لومة لائم ، أو كلمة رجل ؛ ثم هي ساذجة مطواع طيبة القلب ، تصارحك بكل شئونها ولو لم تقابلها إلا مرة واحدة ، وهي بعد ذلك وفية كل الوفاء

* * *

والحدائق في بوخارست ، هي مستراد الشباب ، وميدان التنزل ، وملاذ الهوى ، يقصدها القوم جميعاً قبيل الغروب . والمدينة غنية بحدائقها فقد وهبها الله موقعاً طبيعياً غنياً بالبحيرات الطبيعية ، فأنشأوا حولها الحدائق ، ونموا الخمائل والأشجار والخضرة ؛ ففي وسط المدينة تقع حديقة (تشيشميجو Cismigiu وبأطرافها تقع حدائق كارول الثاني على شواطىء بحيرة هيراستراو Herästrau ، وحديقة تي Tei على شواطىء بحيرة Tei ، وحديقة البوتانيك Gradina Botanic ، وحديقة كارول الأول وتتوسطها بحيرة طبيعية جميلة ... وغيرها ...

وكل هذه الحدائق آية في الجمال والتنسيق والموقع . ولن أنسى أمسيّة قضيتها في مطعم أنيق في حديقة كارول الثاني يطل على البحيرة ، وقد انعكست أضواؤه على صفحتها الهادئة ، وانتثرت بها الزوارق البخارية ذات الأضواء الملونة ، وهي تتخطر في هينة ورفق على أنغام الموسيقى ... منظر جعل يجذبني إلى هذا المكان كل مساء

وفي حديقة كارول الأول بحيرة طبيعية ، يقع على شاطئها مسجد شرقي آية في الجمال والفن ؛ فإذا أقبل المساء انسابت الزوارق إلى عرض البحيرة ، وعلى كل زورق عاشقان ، جمعهما الهوى ، وأظلهما الظلام ، وأغرتهما هدأة الليل الجميل ، فذهبا يتناقلان الحديث ، ويتشاكيان الهوى ، ويتبادلان العناق ؛ فأنت لا تسمع أينما أدرت أذنيك إلا همسات الغزل ، وأصوات القبل ، وخفقات المجاديف قد اختلطت بضحكات النساء

وعلى مقربة من المدينة تقع غابة « بانيسا » Bâneasa ، وهي غابة صغيرة جميلة كانت لنا فيها جولات نذكرها بالخير ، وعلى أميال منها بحيرة سناجوف Snagov في موقعها الطبيعي الساحر ، وهي أروع ما وقع عليه نظري في هذه البلاد

ولا أود أن أختم القول قبل أن أشير إلى رخص تكاليف المعيشة في بوخارست إلى حد لا يتصوره العقل، ولا يصدقه إلا من زارها ، ويرجع ذلك إلى فقر البلاد ، وانخفاض سعر « اللي » Lei — وحدة العملة الرومانية — انخفاضاً كبيراً. وحسبك أن تعلم أن ما ينفقه الإنسان في القاهرة في يوم، يكفيه في بوخارست ثلاثة أو أربعة أيام على الرغم من كونها بلاداً أجنبية غريبة عليه. وأرخص ما في المدينة الطعام ولا سيما اللحم — فالبلاد بلاد سهول ومراعي — وهم في طعامهم أقرب إلى الشرقيين منهم إلى الغربيين. ولعل ذلك يرجع إلى عهد الاستعمار التركي . وأظهر مشروبهم البيرة والنبيذ والسويكا — وهو الشراب الوطني للبلاد — وقلما تخلو مائدة من إحداها

* * *

هذه هي بوخارست أو باريس الصغيرة كما يسمونها ، مدينة المرح والحياة والجمال . وهذا بعض حقها عليّ ، وإنه ليعزّ عليّ وعلى عارفيها ما نالها من محنة ، ولنا فيها ذكريات وأصدقاء وأحباب ، خفف الله عنها وعنهم ، وأجل لهم العزاء

(القاهرة) « قمر »

حكم استئنافياً بتغريم أحد عليوه التاجر بالدرب الأحمر بالقضية ١٦٠٩٦ بجلسة ١٥ ديسمبر سنة ٩٤٠ جنيهاً ليسمه كبريتا بأزيد من التسعيرة .